صيدا الباسلة ، ومسألة تحديد هوية المسؤول الذي اعطى الاوامر بانزاله ، بين تبرؤ رئيس الحكومة وتأكيد مصادر السلطة الاخرى على مشاركته ، الى ان جاءت هزيمة العسكر امام المقاومة الشعبية لتحول التخاذل الى نصر شعبي • وحتى بعد حادث عين الرمانة اللاحق فان القيادات التقليدية كانت مستعدة للصفح عما مضى والتفتيش عن حل وسط •• لولا تصلب اليمين •

● وعلى صعيد الاحزاب الوطنية واليسارية فان دور الوساطة الذي حاولت القيام به بين السلطة وجماهير صيدا كان اشبه بمحاولة للحؤول دون حصول الصدام المحتم بين الشعب والرجعية المتأهبة • وقد جاءت الاحداث اللاحقة لتثبت قصور هذا الدور عن المستوى الذي بلغه الصراع الوطني ـ الطبقي في المرحلة الحالية ، وقصوره عن ادراك استحالة تراجع اليمين ، بالاقناع والحوار ، عن « حاجته » للصدام •

مقابل هذه « الوسطية » من جانب اغلب القوى الوطنية والقيادات التقليدية فان رد فعل الشارع الصيداوي كان ، على عفويته ، اصدق تعبيرا عن مستوى الصراع وعن مهمات المرحلة • وهكذا كان رد فعل فقراء صيدا حمل السلاح تحت راية « مقاومة شعبية » الحقت اول هزيمة عرفها العسكر في مسلسل « الحرب الاهلية » • وبالتأكيد فان قتال الشارع الصيداوي في تلك الايام الاولى كان نموذجا طليعيا للخط الذي انتهجته الجماهير في الاشهر اللاحقة •

●●●

لقد استشهد معروف سعد في موقعه الطبيعي : على رأس مظاهرة الفقراء المهددين بفعل زحف الرأسمالية الجشعة ، وفي اللحظات الاولى من معركة عروبة لبنان وتقدمه • واذا كان الشعبان اللبناني والفلسطيني سيخلدان ذكرى معروف سعد في الاساطير التي تحكى عنه، فان على الطلائع من ابناء الشعبين الشقيقين ان تستلهم من ذكرى الرجل تلك الاصول القومية والاجتماعية للحركة الشعبية في بلادنا ، وان تعمل على دفع الحركة الشعبية وقواها المنظمة نحو مزيد من الوحدة ونحو رؤية اعمق لطبيعة الصراع ووسائله •

■■ مصطفى مراد

يتدرب على السلاح مع جان عزيز اثناء احداث ١٩٥٨

يقاتل مع ثوار فلسطين عام ١٩٣٨

مصطفى معروف سعد

جماهير صيدا مع الثورة الفلسطينية

مصطفى معروف سعد ، الذي تولى قيادة التنظيم الناصري في صيدا بعد استشهاد والده ، تحدث « للهدف » عن سيرة المناضل الراحل وعن دور جماهير صيدا في احباط الهجمة الفاشية •

طراز جديد

□ كيف تكونت الزعامة الوطنية للشهيد معروف سعد ؟

■ لم يكن شهيدنا « زعيما » بالمعنى التقليدي المعروف للزعامة في لبنان ، تلك الزعامة التي قامت في العهد التركي فالفرنسي ثم الاستقلالي ، على انواع مختلفة من الاقطاع العائلي والمالي والزراعي والسياسي ، بالاضافة الى التملق للسلطات الاستعمارية والرجعية الحاكمة لكي يتمكن « الزعيم » من تلبية رغباته وطلباته الشخصية من جهة ، ولينمي نفوذه واقطاعه في منطقته على حساب اهلها وحقوقهم الوطنية والسياسية والعمرانية وغيرها •

ولكن الشهيد معروف سعد نشأ في اوائل عهد الانتداب الفرنسي على لبنان ، نشأة وطنية استقلالية سليمة ، وقاد حركات تحررية كثيرة في لبنان ضد الانتداب ، وضد الاحتلال البريطاني الصهيوني لفلسطين ، فاشترك في الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ على ربى فلسطين وعمل في جنوب لبنان على مكافحة تهريب الفواكه والخضار والبضائع الى الصهيونيين في فلسطين حينما اعلنت اللجنة العربية العليا واللجان القومية بفلسطين مقاطعة البضائع الصهيونية ، وحظر التعامل مع الصهيونيين ، ومنع وصول المواد الغذائية اليهم عن طريق البلاد العربية ، ولا سيما لبنان •

وقد رأى اللبنانيون عامة والصيداويون وسائر الجنوب خاصة طرازا جديدا من القادة لم يألفوه من قبل • فالتفوا حول معروف سعد ، ومنحوه ثقتهم واخلاصهم ، فأيدوه وناصروه ، واشترك معه قسم كبير منهم، حتى الى ما قبيل استشهاده ، في الكفاح المرير الذي نذر الشهيد نفسه له منذ نعومة اظفاره ، كفاح ضد الاستعمار والطغيان والاستغلال في لبنان وفي أي بقعة من بقاع العالم •

وكانت علاقته بابناء بلده والجنوب علاقة الاب بأبنه ، او الاخ بأخيه ، او الصديق الوفي البر بصديقه ، يعيش معهم نهاره وليله ، يشاطرهم احزانهم ، ويقاسمهم افراحهم ، لا يكل ولا يمل من خدمتهم خدمة نصوحا ، ومن تقديم العون لهم عند الحاجة ، دون ان يكون له من وراء ذلك أي مأرب او نفع شخصي •

من هنا جاءت محبة جماهير صيدا والجنوب للشهيد ، ومن هنا توطدت هذه العلاقة الروحية المتينة بينه وبينهم ، فكان له عليهم ما للاب الحنون المخلص على ابنائه ، وما للموجه القائد الحكيم المتفاني على مواطنيه وجنوده ، من تأثير يفسر بالزعامة •

لماذا اغتيل ؟

□ ما هو اثر عملية اغتيال الشهيد سعد على مجرى النضال في المنطقة ؟

■ أثار اغتيال شهيدنا في صيدا اولا موجة سخط واستنكار عارمة ، لم تهدأ حتى الان • هذه الموجة احتدت ضد النظام الرجعي الحاكم في لبنان ، وفي سائر المنطقة العربية التي اهتزت جماهيرها لحادثة الاغتيال هذه ، وتنبهت الى ما يحاك في المنطقة ضد الزعماء والقادة الوطنيين التحرريين من مؤامرات لطمس الحركة الوطنية وتقليص نشاط الجماهير من حولها •

وكان اسوأ اثر لاغتيال الشهيد سعد في لبنان انفجار الاحداث الدموية المريعة مدة عشرة اشهر ابتدأت بحادثة القوى الانعزالية الرجعية في عين الرمانة • مما يدل على ان الاغتيال لم يكن صدفة ، بل كان مؤامرة مدروسة مدبرة خطط لها بدقة وعناية للقضاء على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية ، ولتركيز النظام على أسس من الرجعية والاستغلال والاحتكار أمتن وأصلب !

□ ماذا كانت ابعاد المؤامرة اليمينية الاخيرة ، ودور الحركة الوطنية في صيدا والجنوب في التصدي لها ؟

■ كان اغتيال الشهيد سعد ، كما قلت سابقا ، بداية لمؤامرة كبيرة انغمست فيها العصابات الانعزالية ، وجندت لها جميع قواها وقوى السلطة الرجعية • ولكن ابعاد هذه المؤامرة الواضحة تمام الوضوح لدى الحركة الوطنية التقدمية لم تنجح ، بل فشلت فشلا ذريعا بالرغم مما عم البلاد من الضحايا والخراب عادت على تلك الفئات الانعزالية باليأس والمرارة والخيبة •

لقد كان دور الحركة الوطنية في صيدا والجنوب ، بل وفي كل لبنان ، في التصدي لتلك المؤامرة ، كبيرا تحملت فيه مسؤولياتها كاملة، وجندت طاقاتها كلها لوأد المؤامرة في مهدها ، ولقطع الطريق عليها في المستقبل ، وذلك بعد ان أفادت الحركة الوطنية من كثير من التجارب والعبر في التصدي لهذه المؤامرة وأضرابها •

وقد ازداد التحام الجماهير في صيدا وسائر لبنان بالثورة الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية بعد ان فوجئت تلك الجماهير بالاستعدادات الانعزالية والرجعية الهائلة لتنفيذ المؤامرة ، وبعد ان وعت تلك الجماهير تمام الوعي واجباتها ومسؤولياتها تجاه أي مخطط او مؤامرة لضرب الثورة الفلسطينية العادلة ، والحركة الوطنية الثائرة !•

■■

جثمان معروف سعد : يحمله رفاق السلاح وتلاميذ الشهيد